صورت هذه المقاومة على انها «ليست سوى عمل عدد قليل من المسيحيين تحرضهم فرنسا (ضد بريطانيا !). وفي الثلاثينات والاربعينات، اضحت الصورة «مجموعة من عائلات اسلامية تدعمها المانيا النازية». وبهذا استخدمت الصهيونية ـ كالعادة ـ التناقضات بين المستعمرين الاوروبين انفسهم، وكأن المعركة لا تخص شعباً فلسطينياً عاش الآف السنين على ارضه التي تسعى الصهيونية الى الاستيلاء عليها. وبالمنطق عينه صورت النكبة الفلسطينية العام ١٩٤٨ على انها «حرب استقلال اسرائيل والشعب اليهودي»، اما العدوان العام ١٩٦٧، فهو «حرب دفاعية ضد محاولة العرب لالقاء اليهود في البحر»[٣١]. وبعد بروز منظمة التحرير الفلسطينية، وخصوصاً عقب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، قدمت صورة المنظمة في الغرب على انها «منظمة ارهابية تسهر على هدف تدمير اسرائيل التي هي من منجزات الحضارة المعاصرة للغرب، لكي تثبت النفوذ الشيوعي في الشرق الاوسط». ثم بات من الشائع ان تصور المقاومة على انها «مجموعة من الشيوعيين تشجعها روسيا والصين»[٣٢]. واخيراً هي مجموعات من الارهابيين، والمتطرفين من محترفي تدمير المسيرة السلمية في الشرق الاوسط ، الخ.

وهكذا، ظل الغرب، ولفترة طويلة، لا يرى الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي الا من خلال معادلة منحازة، مسبقاً، الى الجانب الاسرائيلي. ومما أدى الى تفاقم الصورة الفلسطينية كون الصهيونية ليست غريبة، من حيث اهدافها وقيمها، عن الفكر والممارسة الغربية[٣٣]. ومن هنا، فان الاوصاف التي يطلقها الصهيونيون على الفلسطينيين كانت تتمتع بمصداقية كبيرة في الغرب، بل وغير قابلة للمناقشة. ليس من المستهجن، والامر كذلك، أن يمنح اديب صهيوني يطرح افكاراً شديدة العنصرية عن الفلسطينيين، هو يوسف عجنون، جائزة نوبل في الادب . فقد وصف عجنون الفلسطينيين في روايته «الأول من أمس»، والتي نشرها في الغرب العام ١٩٤٥، بأنهم « لاكرامة لهم، ويتحمّلون الاهانات، ويغشّون اليهود، ويكرهون الحضارة»[٣٤].

لا شك في ان صورة من هذا القبيل لأي عنصر بشري لا يجب ان تلقى القبول لدى الفكر المستنير المحايد . وعلى اقل تقدير، يجب ان ينظر اليها في ضوء الظروف الموضوعية المحيطة بمن كتبها. فهو عنصر في طرف من اطراف الصراع في فلسطين. وفي ظروف الصراع، حاول كل طرف ان يشوّه خصمه. الا ان الغرب، وقد ادرك مدى العلاقة العضوية مع الصهيونية، وان صراعها ضد الفلسطينيين والعرب يعزز مكانته في الشرق، تقبل هذه الآراء الصهيونية كمسلّمات، ومنح من قدم من الصهيونيين صورة شديدة العنصرية ضد الفلسطينيين الجوائز، وأسبغ عليه النعم.

ومن الملاحظات الجديرة بالعناية، ان الاقلام الصهيونية التي تتولى رسم الصورة الفلسطينية في الغرب تتعدى، في دائرة اختصاصها، قطاعات الرأي العام والرسميين الغربيين الى صفوف المدارس الابتدائية والثانوية والجامعية، الامر الذي يدخل هذه الصورة نحو المدركات الغربية من خلال عيون واقلام صهيونية (أو متصهينة) منذ البداية ، وفي مرحلة النشأة، وبطريقة منهجية. من امثلة ذلك، ما حدث في مقاطعة بافاريا في المانيا الاتحادية. فقد قررت المقاطعة ان يضع مؤلفون اسرائيليون تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي لتلاميذ المدارس في العام ١٩٦٧، على ان تتبعها في ذلك المقاطعات الالمانية كافة[٣٥]. ان هذا النهج شديد الخطورة ليس فقط على حاضر الصورة الفلسطينية، بل وعلى مستقبل هذه الصورة ايضاً. فأبحاث الرأي العام تؤكد ان «الادراك» هو أول مراحل تكوين الرأي، وبالتالي الاتجاه، فالسلوك السياسي للفرد[٣٦]. ودخول الصورة الفلسطينية من الابواب الصهيونية الاسرائيلية الى مدارك الغربيين، في مرحلة مبكرة من حياتهم الفكرية، يجعل من مهمة تغيير